جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية




# رحمة النبي ﷺ بأسرته وخدمه

إعداد الدكتورة

## نجبة غلام نبي

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن - جامعة أم القرى
كلية الآداب والعلوم الإدارية - بمكة المكرمة

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الثلاثون، لعام ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم 6157/٢٠١١

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠



## المقدمـــة

الحمد لله الغفور الرحيم، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للأنام، وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه إلى يوم يبعث الناس لربهم قياماً.

وبعد :

إن من علامات محبة الرسول (ﷺ) نشر سيرته العطرة، وبيان نماذج من رحمته للخلائق، وخاصة في هذه الأيام التي كثر فيها كلام الحاقدين على النبي (ﷺ).

إنه مما يسعد كل مسلم ويشرفه المساهمة في الحديث عن جانب من جوانب سيرة النبي (ﷺ) والتحدث عن معالم الرحمة في علاقتة (ﷺ) بأسرته وخدمه.

وقد قسمت بحثي إلى **تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة**.

أما **التمهيد** ففيه معنى الرحمة، والآيات والأحاديث الدالة على رحمة النبي (ﷺ) بأمته.

أما **المباحث** فهي :

**المبحث الأول:** رحمة النبي (ﷺ) بزوجاته.

**المبحث الثاني:** رحمة النبي (ﷺ) ببناته وأزواجهن.

**المبحث الثالث:** رحمة النبي (ﷺ) مع أسباطه.

**المبحث الرابع:** رحمة النبي (ﷺ) مع خدمه.

وأما **الخاتمة** فأبين فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

**وقد توصلت بعد الانتهاء من البحث إلى النتائج التالية :**

١) الرحمة كلمة جامعة لكل خير مادي ومعنوي، دنيوي وأخروي.

٢) إرسال الله تعالى النبي (ﷺ) بالرسالة الخالدة رحمة للعالمين.

٣) رحمة النبي (ﷺ) شملت كل الخلائق.

٤) وصف النبي (ﷺ) نفسه بالرحمة المهداة.

٥) توضيح النبي (ﷺ) لقاعدة الخيرية وهي حسن معاملة الرجل لأهل بيته.

٦) نماذج من حسن عشرة النبي (ﷺ) لنسائه على كثرتهن، ومراعاته لمشاعرهن، وتودده إليهن، وسؤاله عنهن يومياً، ومسامرته لهن تفريحاً لقلوبهن.

٧) تخصيص النبي (ﷺ) عائشة رضي الله عنها بمزيد من الحب والرحمة واللطف ومراعاة الأحوال كصغر سنها وقلة خبرتها في الحياة.

٨) إكبار النبي (ﷺ) موقف سودة رضي الله عنها عندما طلبت من النبي ﷺ إمساكها فقط لتبعث يوم القيامة من زوجاته واستجابته لطلبها.

٩) أمثلة لرحمة النبي (ﷺ) بزوجاته وتحمله لمواقف الغيرة التي تكون بين الضرائر عادةً، ومحاولته جمع شملهن.

١٠) من رحمته (ﷺ) حث المسلمين على الاهتمام بتربية الأنثى وعدم إهانتها وما يحصل عليه من الأجر والثواب من ذلك.

١١) رحمة النبي (ﷺ) الظاهرة ببناته وأزواجهن في جميع الحالات في الهجرة والغزوات والأسر والإجارة وموت الأبناء ونحو ذلك.

١٢) شدة تعلق النبي (ﷺ) بالأطفال ورحمته لهم وتقبيلهم وتعلق أسباطه به حتى في الصلوات ومع ذلك لم يغفل (ﷺ) هذا التعلق، بل نماه وزاده متانة وقوة، وأكثر من ذلك جعل محبتهم دليلا على محبته (ﷺ).

١٣) رحمة النبي (ﷺ) بمواليه وخدمه حتى إن الواحد منهم يؤثر العيش مع النبي (ﷺ) على أن يعود إلى أهله، ورحمته الظاهرة لأنس رضي الله عنه لصغر سنه والدعاء له وإرشاده بكل حب ولطف.

١٤) رحمة النبي (ﷺ) بحاضنته أم أيمن وزيارته لها في بيتها، وإكرامه إياها، وتقبله صخبها وغضبها.

١٥) تأثر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) الشديد بهدي النبي (ﷺ) لكثرة ملازمته له خدمة له حتى اشتهر عند الصحابة بأنه أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله (ﷺ).

**التوصيات :**

١- أوصي نفسي وجميع المسلمين بالاقتداء بالنبي (ﷺ) في صفاته الحسنة ومعاملاته الرقيقة اللطيفة مع المسلمين عموماً وأهل بيته خصوصاً.

٢- عقد المؤتمرات والندوات في القنوات العالمية بلغاتهم حول السيرة العطرة لنبي الرحمة (ﷺ).

٣- التركيز على تعليم الشباب كيفية معاملة الزوجات على المنهج الإسلامي لتفادي حالات الطلاق المنتشرة والحدّ من ظاهرة العنف الأسري، وكذلك الإحسان إلى البنات بإكرامهن، ومساواتهن مع إخوانهن الذكور في المعاملة الحسنة، والفرح بولادتهن، والإغداق عليهن من المشاعر الرقيقة، وتربيتهن تربية إسلامية صحيحة دون إفراط ولا تفريط.

٤- إجبار المقبلين على الزواج من الشباب والفتيات بالالتحاق بالدورات التدريبية للمقبلين على الزواج، على غرار إجبارهم على تحليل الدم.

اللهم اجعل عملي خالصا لوجهك الكريم وتقبله مني وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## التمهيـد

**معنى الرحمة :** الرقة والتعطف، وتراحم القوم رحم بعضهم بعضاً، والرحمة في بني آدم رقة القلب وعطفه [1].

الرحمة كلمة جامعة لكل الخير المادي والمعنوي، الدنيوي والأخروي.

وقد اتصف الرسول (ﷺ) بالرحمة لجميع الناس مؤمنين وكافرين ومنافقين، أرسله ربه رحمة مهداة لجميع الخلائق، ونعمة مسداه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[2] يخبر تعالى أنه الله جعل محمداً (ﷺ) رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قِبَل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة[3]. ذلك أن الله تعالى أرسل إلى البشر رسولاً ليعتقهم من أسر الأوثان ويخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التقليد إلى نور الإيمان، وينقذهم من النار والعار، ويرفع عنهم الآصار، ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال، ويرشدهم إلى صراط الحق[4]. قال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[6].

يمتنّ تعالى على عباده بهذا النبيّ الأميّ الذي يعرفونه فهو ليس من غيرهم ليتهموه، وهو (ﷺ) في غاية النصح لهم والسعي في مصالحهم ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾أي يشق عليه ما يشق عليكم من المكروه والأذى ﴿ حَرِيصٌ﴾ على هدى ضُلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ويحب لكم الخير ويسعى جهده لإيصاله إليكم

---

[1] لسان العرب لابن منظور (مادة رحم) ٢ ٣٠ ٣١.

[2] سورة الأنبياء آية ١٠٧ ).

[3] تفسير ابن كثير ٤ ٥٠٠.

[4] تفسير القاسمي ١ ٢٩٨ - ٢٩٩.

[5] سورة آل عمران آية ١٦٤ ).

[6] سورة التوبة آية ١٢٨ ).

﴿ ِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ أي شديد الرأفة والرحمة[١] بهم وأرحم بهم من والديهم؛ ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه وتوقيره وتعزيره[٢].

ووصف النبي (ﷺ) نفسه بقوله : ( إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة )[٣]، وقال النبي (ﷺ) : (أنا محمد وأحمد والمقفّي[٤] والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة)[٥].

---

(١) الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة تمنع ما يؤذي فرأفته تقتضي أن يحذرهم من كل مـــا يؤذيهم في دنياهم وأخراهم. أما الرحمة تجلب ما ينفع فرحمته تقتضي أن يجلب لهم الخير في الدنيا والآخرة.

(٢) بتصرف من تفسير الطبري ٢ ٦ ٧، السعدي ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي (ﷺ ) أو سبا ٦ ٥٠ .

(٤) المقفي بمعنى العاقب أي المتبع للأنبياء شرح النووي ٥ ٠٧ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب أسماؤه (ﷺ ٥ ٥٠ .

# المبحـــــث الأول
# رحمة النبي (ﷺ) بزوجاته

**توطئة**

الأسرة في الإسلام تخدم المقاصد الاجتماعية الهامة في المجتمع، كالارتباط، والتقارب، والتوارث، وتهذيب الأنفس، والتراحم، والتوادّ وغير ذلك.

ولما كان المجتمع يحتاج إلى شيوع هذه الأخلاق لاستقامته وترقيته والمحافظة على مقومات إنسانيته[1]؛ جعل النبي (ﷺ) من الاهتمام بالأهل والحنو عليهم وحبهم معياراً لخيرية الرجل.

قال (ﷺ) : (خيركم، خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) [2].

وفي رواية : (خياركم خياركم لنسائهم خلقاً)[3].

وكان من كريم أخلاقه (ﷺ) في تعامله مع زوجاته أنه كان يحسن إليهن ويرأف بهن ويتلطف معهن ويتودد إليهن، بالرغم من كثرة عددهن، إلا أنه (ﷺ) كان يتفقد أحوالهن يومياً.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :كان رسول الله (ﷺ) إذا صلى الصبح جلس في مصلاه وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ثم دخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن ويدعو لهن فإذا كان يوم إحداهن جلس عندها )[4]

وكان من أخلاقه (ﷺ) أنه جميل العشرة، دائم البِشْر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويضاحك نساءه، وكان من ألين الناس وأكرمهم إذا خلا بنسائه، ضحّاكاً بسّاماً[5]، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها؛ فيأكل معهن العشاء في بعض

---

[1] الأسره المثلى في ضوء القرآن والسـنة، د. عمـارة نجيـب ص ٥٦ )، ط/ الأولـى، ٤٠٠ هـ ٩٨٠ م، مكتبة المعارف، الرياض.

[2] رواه ابن ماجه كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء ٣٦ .

[3] رواه الترمذي كتاب الرضاع باب ماجاء في حق المرأة على زوجها ٦٦ .

[4] مجمع الزوائد عن عمر بن الخطاب ١ .

[5] كتاب منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، تأليف عبد الله بـن سـعيد اللحجي ٠٠٨ ، ط/الثالثة ٤٢٤ هـ - ٠٠٣ م، دار طوق النجاة.

الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها[١]، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصّها بالليل[٢].

وكان إذا صلى العشاء فدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك[٣]؛ لتفريح قلوبهن وحسن العشرة معهن[٤]، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار. وكان يوسعهن نفقة[٥].

كان (ﷺ) يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم. سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان يصنع النبي (ﷺ) في البيت قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج [٦]. وفي رواية ( كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم)[٧].

فما كان النبي (ﷺ) من جبابرة الرجال؛ بل كان يخدم نفسه بنفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، حتى لا يكلف أهله أعمالاً فوق الأعمال المنوطة بهن.

إن مشاركة الزوجين في الأعمال المنزلية يجعل السعادة والراحة والمودة والرحمة سائدة في جو البيت العام فلا تشعر المرأة أنها مشغولة طوال اليوم بأعمال التنظيف والترتيب والطبخ وتلبية طلبات الزوج، ثم قد لا تسمع كلمة شكر أو تقدير؛ بل قد لا تسمع إلا أنها مقصرة في أعمال البيت وفي تنفيذ رغبات الزوج. وعلى العلماء والفضلاء أن يوجهوا نظر الرجال إلى الأخلاقيات الراقية واللفتات الرحيمة الشفيقة. التي كان يتحلى بها النبي (ﷺ) زوجاً، كما يوضحون دائماً عباداته ومعاملاته مع الناس. وفق الله الجميع لكل خير وهدى.

**ومن أمثلة رحمة النبي (ﷺ) بزوجاته :**

**أ- في البيت:**

---

(١) تفسير ابن كثير / ١٧/ .

(٢) زاد المعاد ٨/ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) تفسير ابن كثير / ١٧/ .

(٤) منتهى السول / ١٤/ .

(٥) تفسير ابن كثير / ١٧/ .

(٦) صحيح البخاري، كتاب النفقات باب خدمة الرجل في أهله ٣٥/ .

(٧) رواه أحمد ٩ - ٢٦ .

روت عائشة رضي الله عنها (كان رسول الله (ﷺ) يناولني الإناء فأشرب منه وأنا حائض ثم أعطيه فيتحرى موضع فمى فيضعه على فيه) وفي رواية ( وأتَعرّق[1] العَرْق[2] وأنا حائض وأناوله النبي فيضع فاه على موضع فيّ)[3] إظهاراً للمودة وفيه ما كان عليه من اللطف بأهل بيته.

كما روت عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغتسل مع النبي (ﷺ) من إناء بيني وبينه واحد فيبادرني حتى أقول دع لي دع لي[4].

كما روى ابن عباس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) كان يغتسل بفضل ميمونة[5].

كما روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت هي ورسول الله (ﷺ) يغتسلان في الإناء الواحد من الجنابة [1]. وروت أم سلمة رضي الله عنها قالت بينما أنا مضطجعة مع رسول الله (ﷺ) في الخميلة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي فقال رسول الله (ﷺ): أنفست. قلت : نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة)[2].

هكذا كان يعامل النبي (ﷺ) زوجاته مؤانسة وإظهاراً للمودة رحمة بهن، ليعلم (ﷺ) أمته كيف تكون العلاقة بين الزوجين، وكيف تدوم المودة والرحمة، كيف تحتاج المرأة لملاطفة الزوج وملاعبته.

إن النظرة الحانية الرقيقة، والابتسامة الرائعة، والكلام اللطيف من الزوج لزوجته يشعرها بالأمان والراحة والطمأنينة داخل بيتها وهذا ينعكس على الأولاد وعلى جو البيت العام.

كانت عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات[3] عند رسول الله (ﷺ) وقالت: (كان تأتيني صواحبي فكنّ ينقمعنّ[4] من رسول الله (ﷺ). قالت فكان رسول الله (ﷺ) يُسر بهنّ[1] إليّ)[2].

---

(1) أتعرق : آخذ اللحم عن العظم بأسناني.

(2) العرق : بفتح العين وسكون الراء العظم الذى أخذ عنه معظم اللحم وبقي القليل.

(3) رواه النسائي كتاب الطهارة باب الانتفاع بفضل الحائض ٤٩.

(4) رواه مسلم بشرح النووى كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء فى الغسل.

(5) رواه مسلم بشرح النووي كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في الغسل.

(1) رواه مسلم بشرح النووي كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في الغسل.

(2) سنن نسائي كتاب الطهارة باب مضاجعة الحائض ٥٠.

(3) قال القاضي فيه جواز اللعب بالعرائس لما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن. انظر شرح النووي ٥ ٢٠٤.

(4) ينقمعن : يتغيبن حياءً وهيبة من النبي (ﷺ).

في الحديث دلالة على أن النبي (ﷺ) كان يحرص على مواضع سرور زوجه عائشة رضي الله عنها وما ذلك إلا رحمة بها ومراعاة لصغر سنها وقلة خبرتها في الحياة.

**ب- في السفر:**

روى أنس (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) جلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب[٣].

انظر إلى هذا الحب والتقدير والرحمة والاحترام من زوج يتهافت الصحابة جميعاً إلى خدمته وحمل الأعباء الدنيوية عنه، ثم لا يجد غضاضة في نفسه أن يجعل ركبته الشريفة موطئ قدم أو سلم صعود تضع زوجه قدمها عليه لتركب.

وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) أتى على أزواجه وسوّاق يسوق بهنّ يقال له : أنجشة[٤] فقال: ويحك[٥] يا أنجشة رويداً[٦]سوقك بالقوارير[٧])[٨].

وفي موقف آخر رُوي أن النبي (ﷺ) حج بنسائه فلما كان في بعض الطريق برك[٩] لصفية رضي الله عنها جملها فبكت، وجاء رسول الله (ﷺ) حين أُخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاءً وهو ينهاها، فنزل رسول الله (ﷺ)

---

[١] يسر بهنّ : يرسلهن.

[٢] صحيح مس م بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ٥ ٤٠٤.

[٣] رواه البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ١ ٥٧.

[٤] أنجشة العبد الأسود كان حسن الصوت بالحداء وكان إذا حدا أسرعت الإبل. انظر أسد الغابا ١ ٤٤.

[٥] ويحك : لا يراد بها حقيقة الدعاء وإنما يراد بها المدح والتعجب.

[٦] رويدك : الأمر بالرفق بهن.

[٧] سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن.

[٨] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته (ﷺ) النساء والرفق بهن ٥ ١٠.

[٩] برك : أناخ البعير في موضع فلزمه. انظر اللسان ١٠ مادة برك.

بالناس. فلما كان عند الرواح[١] قال لزينب بنت جحش رضي الله عنها يا زينب أفقرى[٢] أختك جملاً، وكانت من أكثرهن جملاً... )[٣].

إنه لموقف جميل من الحبيب محمد (ﷺ) مع زوجته حين مسح دمعتها بيده، ثم أمر الناس بالوقوف والنزول علماً بأنه لم يكن يريد أن ينزل.

ففي هذه القصة فوائد جمة وكثيرة يستطيع كل زوجين أن يتعاملا مع هذا الموقف كدستور ومنهج لحياتهم الزوجية حتى تصبح سعيدة وهانئة؛ فمسح الدموع بيد الزوج فيه مواساة ودعم لعواطف ومشاعر الزوجة، علماً بأن سبب البكاء قد ينظر إليه الزوج على أنه سبب تافه. فالبكاء من أجل بروك جمل يُعد من أحسن الجمال قد يُعده الآخرون سبباً هيّناً تافهاً، لكن النبي (ﷺ) الزوج الشهم لم يحقر مشاعر صفية وعواطفها بل احترمها ودعمها وأنزل القافلة كلها من أجلها.

إن تمرير الزوج يده على خد زوجته يمسح دموعها فيه معان كثيرة من الرقة والرحمة والشفقة، على الرغم من أنه مسافر وذاهب إلى الحج، ونفسية المسافر دائماً مستعجلة حتى يصل إلى مراده، ومع ذلك تريث النبي (ﷺ) من أجل زوجته، ولم ير في ذلك إهانة له أو سلباً لرجولته.

أما كيف يتعامل النبي (ﷺ) مع سودة رضي الله عنها تلك الزوجة التي تشعر أن حظها من قلب النبي (ﷺ) هو الرحمة وليس الحب، وبدا له (ﷺ) آخر الأمر أن يسرحها سراحاً جميلاً كي يعفيها من وضع أحس أنه يؤذيها ويجرح قلبها، وترفق في إخبارها بعزمه على طلاقها.

ففي رواية : أنه (ﷺ) قد بعث إليها رضي الله عنها فأذهلها النبأ ومدت يدها مستنجدة فأمسكها رسول الله (ﷺ) وقالت: والله مابي على الأزواج من حرص ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجة لك[١].

وفي رواية خشيت سودة أن يطلقها رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل[٢] فنزلت الآية ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ

---

[١] الرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل. انظر اللسان ٢ مادة روح.

[٢] أفقري أي أعيري. انظر اللسان ٥ مادة فقر.

[٣] انظر أسد الغابة ٦ /٧٠ .

[١] تراجم سيدات بيت النبوة، للدكتورة عائشة (بنت الشاطئ) ص ١٠٠ ، طبعة جديدة، دار الحديث، القاهرة.

[٢] سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ٥ ، ٤٩ .

يُصلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٣)

فيتأثر النبي (ﷺ) لموقف سودة رضي الله عنها العظيم وبُعد نظرها وتفكيرها في الآخرة وليس في الدنيا ويمسكها (ﷺ) ويبقيها ويعطينا درساً آخر في الرحمة والمروءة ومراعاة المشاعر الرقيقة.

**ج ـ مع الضرائر:**

أما فيما يحدث بين الضرائر من الغيرة والمشاحنات فإن بيت النبي (ﷺ) لم يخلُ منها.

قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت إلى النبي (ﷺ) إناءً من طعام فما ملكت نفسي أن كسرته. فقلت: يا رسول الله ما

---

(٣) سورة النساء آية ٢٨ ).

كفارته؟ قال : إناء كإناء وطعام كطعام)[١].

وفي رواية ( فأخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام (ﷺ) يلتقط اللحم والطعام وهو يقول (غارت أمكم)[٢] فلم يثرّب عليها، بل وسع خلقه الكريم آثار غيرتها ولم يتأثر، وقضى عليها بحكم الله في القصاص.

وعن صفية رضي الله عنها قالت : دخل عليّ رسول الله (ﷺ) وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام فذكرت ذلك له فقال : ألا قلت وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟ وكان الذي بلغها أنهم قالوا : نحن أكرم على رسول الله منها وقالوا: نحن أزواج النبي (ﷺ) وبنات عمه[٣].

وهكذا كانت أحواله (ﷺ) مع أزواجه لا يعتب عليهن ويعذرهن وإن أقام عليهن فسطاس عدل أقامه بغير قلق ولا غضب بل رؤوف رحيم [٤]

(١) رواه النسائي كتاب عشرة النساء باب الغير، / ١/ .

(٢) رواه النسائي كتاب عشرة النساء باب الغير، / ٠/ .

(٣) رواه الترمذي كتاب المناقب باب فضل أزواج النبي (ﷺ ) ٨٠/٠٨ .

(٤) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق صالح أحمد الشامي / ٤٨/ ، ط/ الأولى ٤١٢ هـ - ٩٩١ م، المكتب الإسلامي، بيروت.

## المبحث الثاني
## رحمة النبي (ﷺ) ببناته وأزواجهن

**توطئة**

اهتم الإسلام بالأنثى أيّما اهتمام وهي التي كانت توأد في الجاهلية خوف العار والفقر كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[1] يخبر الله تعالى عمّا كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهنّ أحياء من غير سبب إلا خشية الفقر فتسأل بأي ذنب قُتلت، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها.[2]

مما يوضح اهتمام الإسلام بالأنثى قول النبي (ﷺ) ( من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يُهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة)[3]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي (ﷺ) علينا فأخبرته فقال: (من ابتلي من هذه البنات بشيء، كنَّ له ستراً من النار)[4]. وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال : قال رسول الله (ﷺ)ﷺ ( من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو – وضم أصابعه) [5].

من هذا المنطلق الشرعي، وهذه الأسوة الحسنة عامل النبي (ﷺ) بناته رضي الله عنهن بكل رفق ورحمة مع تبصير بالحقوق وإعلاء للمكانة بما يتناسب مع مكانة المرأة في الإسلام فما رُئي أكرم منه قط في معاملة الإناث والترفق بهن والانتصاف لهن[1].

**ومن أمثلة رحمته ﷺ ببناته وأزواجهن :**

**عدم تعريضهن للمشقة والأذى :**

---

[1] سورة التكوير آية 9 ).

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ٧٦٠ .

[3] سنن أبي داود كتاب الأدب باب في فضل من عال يتيم، : ٣٧٠ .

[4] صحيح البخاري كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة : ١٠ ، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة باب فضل الإحسان إلى البنات ٦ ٧٩ .

[5] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة باب فضل الإحسان إلى البنات ٦ ٨٠ .

[1] تراجم سيدات بيت النبوة ص ٩٠ ).

ترك النبي (ﷺ) بنتيه أم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهما – عندما هاجر إلى المدينة – في مكة مع زوجه سودة بنت زمعة[١] إلى أن يهيء لهما مكاناً يسكنان فيه، ولا يتعرضان لما تعرض له (ﷺ) من الترصد وإلحاق الأذى به[٢].

كذلك ما ورد في غزوة بدر حين أُسر أبو العاص زوج ابنته زينب رضي الله عنها، فبعثت زينب رضي الله عنها في فداء زوجها قلادة من جزع ظفار لم يكد النبي (ﷺ) يراها حتى رقّ لها رقة شديدة، لقد كانت قلادة خديجة أهدتها إلى ابنتها زينب يوم عرسها وتكلم النبي (ﷺ) فقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا) قالوا : نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها[٣].

تدل هذه القصة على حب النبي (ﷺ) لزوجته الراحلة خديجة رضي الله عنها وشدة رحمته لابنته التي أرسلت أغلى ما تملك (عقد عرسها) لفداء زوجها فرد عليها (ﷺ) - بعد استئذان الصحابة - زوجها وعقدها.

وتظهر رحمته (ﷺ) بزوج ابنته عندما أطلقه من الأسر دون أن يأخذ منه تعويضاً.

**توفير الرعاية لهن، لاسيما عند المرض :**

أما رقية رضي الله عنها فقد كان زوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من المسارعين إلى نداء الجهاد في بدر، إلا أن النبي ﷺ أمره أن يبقى بجانب زوجه المريضة يهتم بها ويمرضها إلى أن يعود من الغزوة ويطمئن عليها[٤] وقال له : (إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه)[٥].

فكيف لرقية رضي الله عنها أن تبقى وحيدة بعد خروج زوجها إلى الجهاد وكيف للزوج أن يتفرغ للجهاد وقلبه مشغول بزوجة تعاني سكرات الموت فرحمة

---

(١) زاد المعاد ١/ ٥٠.

(٢) نساء حول الرسول محمود طعمه حلبي ص ٧٠ ، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٤٦٨، أسد الغابة ٦/ ١٨٥.

(٤) نساء حول الرسول ص ٦٦.

(٥) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب عثمان بن عفان ٧/ ١٢٤.

بهما أبقاهما النبي (ﷺ) بجانب بعضهما مع ما ادخر لعثمان (رضي الله عنه) من الأجر الدنيوي وهو السهم أو الغنيمة، والأجر الأخروي.

وعن المسور بن مخرمة[1] أنه سمع رسول الله (ﷺ) على المنبر وهو يقول: (إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني مارابها ويؤذيني ما آذاها )[2].

في الحديث كمال شفقته (ﷺ) على علي وفاطمة رضي الله عنهما لأن إيذاء فاطمة يؤدي إلى إيذاء النبي ﷺ فيهلك من سبّب هذا الأذى.

وعن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) قال :كنا عند النبي (ﷺ) فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت. فقال للرسول : ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب. فعاد الرسول فقال : إنها قد أقسمت لتأتينها. قال: فقام النبي (ﷺ) وقام معه سعد بن عبادة [3] ومعاذ بن جبل[4] وانطلقتُ معهم فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع[5] كأنها في شنّة، ففاضت عيناه فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)[1].

---

[1] سور بن مخرمة القرشي الزهري، كان فقيهاً من أهل العلم والدين أقام بالمدينة إلى مقتل عثمان بن عفان ثم سار إلى مكة قُتل في حصار ابن الزبير أصابه حجر منجنيـــق وهـــو يصلي في الحجر عا ٦٤ وعمر ٢،. انظر أسد الغابا : ٣٩٩.

[2] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة رضي الله عنهم ٦ /.

[3] سعد بن عبادة الأنصاري الساعدي كان نقيب بني ساعده كان سيداً جواداً وهو صـــاحب راية الأنصار في المشاهد كلها ومات بحوران ع ٥ ، وقيل غير ذلك. انظر أسد الغابـــة / ٢٠٤ ٦٠٦/.

[4] معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة، كان من أحسن الناس وجهاً وخلقاً أرسله النبي إلى اليمن فلم يزل بها حتى توفي النبي شهد المشاهد مـــع النبي. توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة. انظر أسد الغابا : ١٨ ٢١:.

[5] بفتح التاء والقافين، والشنة القربة البالية ومعناه له صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالي شرح النووي ، ٢٤/.

[1] صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنائز باب البكاء على الميت ، ٢٤/. قال النـــووي معناه : أن سعداً ظن أن جميع أنواع البكاء حرام فأعلمه النبي أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه بل هو رحمه وفضيل . انظر شرح النووي ، ٢٤/.

فالنبي (ﷺ) رغم أنه كان مشغولاً بالدعوة إلى الإسلام وحوله عدد كبير من الناس إلا أن قلبه الفياض بالرحمة خاصة ببناته استجاب لإصرار ابنته بالحضور ومن شدة رحمته (ﷺ) بالصغير وحاله الحرجة سالت دموعه على خديه.

**إكرامهن في أزواجهن :**

ورد في الحديث أن النبي (ﷺ) جاء إلى بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: أين ابن عمك ؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يَقِل عندي. فقال رسول الله (ﷺ) : لإنسان انظر أين هو فجاء فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول قم أبا التراب قم أبا التراب(٢).

انظر إلى كمال شفقته ورحمته (ﷺ) بزوج ابنته حيث يبحث عنه في وقت القيلولة، ثم يمسح عنه التراب بيده الشريفة ويأمره أن يقوم ويذهب إلى بيته للراحة والقيلولة، دون أن يعاتبه أو يسأله لماذا خاصم زوجته أو خرج مغاضباً لها.

وعندما كان أبو العاص عائداً من تجارة لقريش تبعته سرية للنبي (ﷺ) ففر هارباً ودخل على أم ولديه (علي وأمامه) فما كان من زينب رضي الله عنها إلا أن صاحت بأعلى صوتها ( أيها الناس إني أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سمعها النبي (ﷺ) قال: (إنه يجير على المسلمين أدناهم) ثم انصرف رسول الله (ﷺ) فدخل على ابنته فقال : أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له قالت : إنه قد جاء في طلب ماله، فاستشار النبي (ﷺ) الصحابة في الأموال فقالوا بل نرده عليه فردوا عليه ماله أجمع(١).

ما أجمل هذا القول (أكرمي مثواه)، فعليك بإحسان وفادته ومعاملته بكل لطف ورقة مع عدم تجاوز الحدود الشرعية، بل وقوف عند الأمر الإلهي، وزيادة في الإكرام تُرد له تجارته بأرباحها دون أن يؤخذ منها شيء ويعود سالماً غانماً يرد إلى قريش المعادية للنبي (ﷺ) أموالهم وأرباحهم وتجارتهم ويتخلص من أماناتهم ويعود إلى النبي (ﷺ) مسلماً مهاجراً.

هكذا كان النبي (ﷺ) لطيفاً ببناته وأزواجهن جبراً لقلوبهم وتأنيساً لهم فهو (ﷺ) الأسوة للأمة. والناس مأمورون بالاقتداء بهديه (ﷺ) فلو ترك الطلاقة والبشاشة واللطف والرحمة ولزم العبوس لاقتدى الناس به في ذلك.

---

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي (﵁) ٥ / ٨٢ .

(١) تاريخ الطبري / ٧١، أسد الغابة ، ٨٦ .

## المبحث الثالث
## رحمة النبي (ﷺ) بأسباطه.

**توطئة**

لقد علّم رسول الله (ﷺ) الناس في مدرسته الرحمة بالأطفال والصبيان والعيال فقد روى أنس ﷺ قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال[١] من رسول الله (ﷺ) [٢].

وقال أنس ﷺ :كان إبراهيم-ابن النبي (ﷺ)-مسترضعاً في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدّخن وكان ظئره[٤] قيّناً[٥] فيأخذه فيقبله ثم يرجع)[٦].

إذاً النبي (ﷺ) كان يمشي مسافة طويلة ويذهب إلى القرى المحيطة بالمدينة من أجل تقبيل ابنه فقط. هذه القبلة الحانية التي يشعر بها الطفل الرضيع ويزداداً تعلقاً بأبيه.

ومن رحمته (ﷺ) دمع عينيه لفراق ولده إبراهيم فعن أنس بن مالك (ﷺ) أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه[٧] فجعلت عينا رسول الله (ﷺ) تذرفان[٨]، فقال له عبد الرحمن بن عوف (ﷺ) وأنت يا رسول الله؟ فقال (يا ابن عوف إنها رحمة، إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)[١].

---

العيال : من كان دون الخامسة عشرة من عمر .

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب رحمته (ﷺ) وتواضع ٥ ٧٥ - ٧٦ .

ظئره أي زوج المرضعة.

قيناً أي حداداً وتدخين البيت بسبب عمل الحداد بالكير.

صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته (ﷺ) وتواضعا ٥ ٥ - ٧٦ .

يجود بنفسه أي كان في حالة الاحتضار.

تذرفان أي تدمعان.

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب قول النبي إنا بك لمحزنوز ٢ ٢٤ .

وكان (ﷺ) يداعب الأطفال ويلاعبهم بما يناسب أعمارهم ويمشي خلفهم أمام الناس، ويقبلهم ويضاحكهم. عن يعلى بن مره[١] (رضي الله عنه) قال : خرجت مع النبي (ﷺ) وقد دعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في السكة قال : فتقدم النبي (ﷺ) أمام القوم وبسط يديه فجعل الغلام يفرّ هاهنا ويفرّ هاهنا ويضاحكه النبي (ﷺ) حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه[٢] فقبّله وقال: حسين مني وأنا من حسين. أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط[٣].

وكان رسول الله (ﷺ) يستدل على وجود الرحمة في قلوب الناس برحمتهم أطفالهم فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله (ﷺ) فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنّا والله ما نقبّل. فقال رسول الله (ﷺ) : أو أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة ؟[٤].

وجاء الأقرع بن حابس[٥] إلى رسول الله (ﷺ) فرآه يقبل الحسن بن علي فقال الأقرع : أتقبلون صبيانكم ؟ فقال رسول الله : نعم. فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت واحداً منهم قط. فقال له رسول الله (ﷺ) من لا يَرحم لا يُرحم[٦].

لقد بلغ من عناية الرسول (ﷺ) بأسباطه أن ألقى لهم باله حتى أثناء صلاته يقول أبو قتادة : كان رسول الله (ﷺ) يصلي وهو حامل أمامه بنت زينب بنت رسول الله (ﷺ) ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها)[٧].

---

(١) يعلى بن مره الثقفي أسلم وشهد مع النبي الحديبية وبايع بيعة الرضوان وشهد خيبر والفتح وهوازن والطائف كان من أفاضل الصحابة سكن البصرة وقيل الكوفة. انظر أسد الغابة : ٤٩/ ..

(٢) فأس رأسه مابين الذؤابة والقفا.

(٣) سنن ابن ماجه المقدمة باب فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ١٠١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته (ﷺ) وتواضعه ٥ /٦ .

(٥) الأقرع بن حابس التميمي شهد مع رسول الله فتح مكة وحنيناً كان شريفاً في الجاهلية والإسلام استعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فاصيب هو والجيش. انظر أسد الغابة ٢٨ .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته (ﷺ) وتواضعه ٥ ٦ /٧ .

( صحيح البخاري كتاب الصلاة باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة / ٧٥ .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : خرجتُ مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة فقال أثمّ لكع[١] أثم لكع ( يعني حسناً ) فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تُغسله وتلبسه سخاباً[٢] فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه)[٣].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطب يوماً إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٤] فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أهديت له هدية فيها قلادة من جزع[٦]، فقال: لأدفعنها إلى أحب أهلي إليّ فدعا أمامة بنت زينب فأعلقها في عنقها[٧] وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعوّذ الحسن والحسين ويقول: (إن أباكما[٨] كان يعوّذ بها بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه)[٩].

هكذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الأطفال وخاصة أسباطه يلاطفهم ويلاعبهم ويعاملهم بكل حنان ورحمة وشفقة، فإنه (صلى الله عليه وسلم) على كثرة مسئولياته وعظم مهامه لا ينسى ما يحتاج إليه الأطفال من الرعاية والحنان واللطف واللعب فيعطيهم نصيبهم من ذلك

---

(١) لكع المراد به الصغير.

(٢) السخاب قلادة من قرنفل ومسك وعود ونحوها من أخلاط الطيب يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري.

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (رضي الله عنهم) باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهم ٥ ٩٢ .

(٤) سورة التغابن آية ٥ ).

(٥) سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين ٦٨ .

(٦) خرز يماني.

(٧) انظر أسد الغابة ٢ .

(٨) أي إبراهيم (عليه السلام) .

(٩) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ١ .

كله ليعلّم أمته بأن القائد مهما كان مشغولاً ومهما كانت أعماله كثيرة فإن اللفتات الحانية من الآباء لها أثر كبير في الإشباع العاطفي للأطفال وتؤدي إلى تنمية مشاعر الحب والود لدى الأطفال.

## المبحث الرابع
## رحمته (ﷺ) بخدمه

**توطئه**

أشرقت شمس الإسلام والعالم يزخر بمشاهد الاستضعاف للطبقة العاملة والمملوكة، والهضم المستمر لحقوقها، والنظرة الدونية التي ينظر بها إلى أصحابها. فبعث الله خير الرسل (ﷺ) رحمة للعالمين، وأعطى الحقوق المسلوبة إلى هذه الفئة المهضومة، وأعاد لها اعتبارها من خلال التوجيهات والآداب التي تجلب النفع لها وتدفع الضر عنها.

وقد استطاع النبي (ﷺ) أن يأسر قلوبهم ويملك مشاعرهم بسماحة أخلاقه وكريم شمائله.

وخير مثال على ذلك قصة زيد بن حارثة، أشهر موالي النبي (ﷺ) الذي قال لأبيه وعمه، عند ما جاءا في طلبه ( قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً )[1] فلما رأى رسول الله (ﷺ) ذلك أخرجه إلى الحِجر وأشهد الناس بأن زيداً ابنه يرثه ويرثه[2].

هذه القصة خير دليل على شدة رحمته (ﷺ) بمواليه وخدمه فلا يرضى طفل أن يعيش بعيداً عن أبويه، في بيت غريب لا ينتمي إليه بصلة قرابة أو رحم، إلا صلة الرحمة والعطف، والأسلوب الرقيق في المعاملة والتوجيه والتربية.

وسلك النبي (ﷺ) مع خدمه مسلك التعليم والارشاد والابتعاد عن التوبيخ والتقريع تجاه مايصدر منهم من هفوات لا يسلم منها أحد خاصة الصغار. يقول أنس بن مالك (رضي الله عنه) خدمت النبي (ﷺ) عشر سنين فما قال لي أفٍ قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته )[3].

قال أنس : كان رسول الله (ﷺ) من أحسن الناس خلقاً فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب - وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله (ﷺ) قال فخرجت حتى أمّر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله (ﷺ) قابض بقفاي من

---

(1) انظر أسد الغابة ٢ / ٣٠ .

(2) انظر المرجع السابق.

(3) سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ماجاء في خلق النبي (ﷺ) ٤ / ٣٦٨ .

ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال: (يا أنيس اذهب حيث أمرتك) قلت: نعم.أنا أذهب يارسول الله)[1]

وعن أنس عن أم سليم [2] أنها قالت: يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، فقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته " [3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله (ﷺ) خادماً ولا امرأة قط )[4].

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) خدمت رسول الله (ﷺ) عشر سنين والله ماقال لي أفٍ قط. [5]

هذه الأحاديث تدل على حسن أخلاق النبي (ﷺ) وحلمه وصبره على ما يصدر ممن يتعامل معهم وخاصة الصغار فإن أنساً (رضي الله عنه) خدم النبي (ﷺ) وهو طفل وقد يصدر منه تقصير أو لا مبالاة بالأوامر الصادرة إليه، ومع ذلك لم يجد من النبي ﷺ إلا رحابه الصدر والتوجيه السليم والدعاء بالخير والبركة.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال : (انطلق رسول الله (ﷺ) إلى أم أيمن فانطلقتُ معه فنَاوَلَتْهُ إناءً فيه شراب. قال : فلا أدري أصادَفتْهُ صائماً أو لم يُرِدْهُ، فجعلت تصخُب[1] عليه وتَذَمَّر[2] عليه )[3].

---

[1] سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي (ﷺ) : ٤٦ صحيح مسلم كتاب الفضائل باب حسن خلقه (ﷺ) ٥ ، ٧١

[2] أم سليم بنت ملحان الأنصارية الخزرجية النجارية أم أنس بن مالك كانت من عقلاء النساء وكانت تغزو مع رسول الله وروت عنه أحاديث وروى عنها ابنها أنس. انظر أسد الغابا ٤٥ - ٤٦.

[3] صحيح البخاري كتاب الدعوات باب عوة النبي لخاد ه بطول العمر وبكثرة مالـه ٢ / ٣٢ ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أنس بن مالك ٦ ٩.

[4] سنن أبي داود كتاب الأدب باب التجاوز في الأمر : ٥٠.

[5] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب حسن خلقه (ﷺ) ٥ ١٩.

[1] ترفع صوتها إنكاراً لامتناعه عن الشـ ب.

[2] تتكلم بالغضب وتتذمر .

[3] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل أم أيم ٦ ا.

في الحديث دلالة على أن أم أيمن كانت تدلُ على النبي (ﷺ) كونها احتضنته فقد كان يقول:إنها أمي بعد أمي، كما فيه كمال لطفه بها وشفقته عليها وحبه لها وزيارتها في بيتها.

أما عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) فقد كان صاحب سواد[١] رسول الله (ﷺ) ووساده[٢] وسواكه ونعليه وطهوره[٣] فإن عبد الله لما أسلم أخذه رسول الله (ﷺ) إليه وكان يخدمه وقال له: إذنك عليّ أن يُرفع الحجاب وأن تستمع سِوادِي حتى أنهاك)[٤].

فكان يلج على النبي (ﷺ) ويلبسه نعليه ويمشي معه وأمامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام وكان يُعرف في الصحابة بصاحب السواك والسواد[٥]. لذلك ورد أنه كان أقرب الناس هدياً[٦] ودلاً[٧] وسمتاً[٨] برسول الله (ﷺ) حتى يتوارى في بيته[٩].

هكذا استفاد الصحابة من ملازمتهم للنبي (ﷺ) وخدمتهم إياه الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة فكانوا نجوماً يُهتدى بهم في الأخلاق والمعاملات والعبادات.

---

(١) سواد يعني سره.

(٢) وساده أي فراشه.

(٣) زاد المعاد ٩'.

(٤) صحيح مسلم كتاب السلام باب استحباب السلام على الصبيان ٥٠ .قال النووي فيه دليل لجواز اعتماد لعلامة في الا ذن في الدخول فإذا جعل الرجل رفع الحجاب علامة بينه وبين خدمه ومماليكه جاز الدخول بلا استئذان ٤ ٥٠ .

(٥) انظر أسد الغابة ٨٠ - ٨٣' .

(٦) هدياً :طريقة وسيره.

(٧) دلاً : حالة وهيئة .

(٨) سمتاً : الهيئة الحسنة.

(٩) انظر أسد الغابة ٢٨٠ ٨٣' .

## الخاتمة

أحمد الله في الختام، وأصلي وأسلم على خير الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام.

فقد وفقني الله تعالى لإتمام بحث (رحمة النبي (ﷺ) بأسرته وخدمه) وخلصت فيه إلى النتائج التالية :

١- إرسال النبي (ﷺ) بالدعوة رحمة من الله تعالى لخلقه.
٢- رحمة النبي (ﷺ) شملت كل الخلائق.
٣- وصف النبي (ﷺ) نفسه بالرحمة المهداة للعالمين.
٤- توضيح النبي (ﷺ) لقاعدة الخيرية وهي حسن معاملة الرجل لأهل بيته.
٥- نماذج من حسن عشرة النبي ﷺ لنسائه على كثرتهن، ومراعاته لمشاعرهن، وتودده إليهن، وسؤاله عنهن يومياً، ومسامرته لهن تفريحاً لقلوبهن.
٦- تخصيص النبي (ﷺ) عائشة رضي الله عنها بمزيد من الحب والرحمة واللطف ومراعاة الأحوال كصغر سنها وقلة خبرتها في الحياة.
٧- إكبار النبي (ﷺ) موقف سوده رضي الله عنها عندما طلبت من النبي (ﷺ) إمساكها فقط لتبعث يوم القيامة من زوجاته واستجابته لطلبها.
٨- من رحمته (ﷺ) حث المسلمين على الاهتمام بتربية الأنثى وعدم إهانتها وما يحصل عليه من الأجر والثواب من ذلك.
٩- رحمة النبي (ﷺ) الظاهرة ببناته وأزواجهن في جميع الحالات في الهجرة والغزوات والأسر والإجارة وموت الأبناء ونحو ذلك.
١٠- شدة تعلق النبي (ﷺ) بالأطفال ورحمته لهم وتقبيلهم وتعلق أسباطه به حتى في الصلوات ومع ذلك لم يغفل (ﷺ) هذا التعلق، بل نماه وزاده متانة وقوة. وأكثر من ذلك جعل محبتهم دليلاً على محبته (ﷺ).
١١- رحمة النبي ﷺ بمواليه وخدمه حتى إن الواحد منهم يؤثر العيش مع النبي (ﷺ) على أن يعود إلى أهله، ورحمته الظاهره لأنس (رضي الله عنه) لصغر سنه والدعاء له وإرشاده بكل حب ولطف.
١٢- تأثر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) الشديد بهدي النبي (ﷺ) لكثرة ملازمته له خدمة له حتى اشتهر عند الصحابة بأنه أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله (ﷺ).

**التوصيات :**

١- أوصي نفسي وجميع المسلمين بالاقتداء بالنبي (ﷺ) في صفاته الحسنة ومعاملاته الرقيقة اللطيفة مع المسلمين عموماً وأهل بيته خصوصاً.

٢- عقد المؤتمرات والندوات في القنوات العالمية لجميع الناس بلغاتهم حول السيرة العطرة لنبي الرحمة (ﷺ).

٣- التركيز على تعليم الشباب كيفية معاملة الزوجات على المنهج الإسلامي لتفادي حالات الطلاق المنتشرة والحدّ من ظاهرة العنف الأسري، وكذلك الإحسان إلى البنات بإكرامهن، ومساواتهن مع إخوانهن الذكور في المعاملة الحسنة، والفرح بولادتهن، والإغداق عليهن من المشاعر الرقيقة، وتربيتهن تربية إسلامية صحيحة دون إفراط ولا تفريط.

٤- إجبار المقبلين على الزواج من الشباب والفتيات بالالتحاق بالدورات التدريبية للمقبلين على الزواج، على غرار إجبارهم على تحليل الدم.

## المراجع


* أسد الغابة في معرفة الصحابة، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري الشيباني – ابن الأثير، ط ١٤٠٩، ١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت.

* الأسره المثلى في ضوء القرآن والسنة، د. عمارة نجيب، ط/ الأولى، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، مكتبة المعارف، الرياض.

* المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق صالح أحمد الشامي ٣٤٨/٢، ط/ الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، المكتب الإسلامي، بيروت.

* تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط/الرابعة، دار المعارف

* تراجم سيدات بيت النبوة، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار الحديث، القاهرة.

* تفسير القاسمي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨-١٩٧٨، دار الفكر، بيروت.

* تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي.

* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبعة المدني، ١٤٠٨-١٩٨٨.

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٤- ٢٠٠٣ دار علم الكتب.

* زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

* سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ١٣٩٥-١٩٧٥، دار إحياء التراث العربي.
* سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، الناشر : دار الفكر، بيروت.
* سنن الترمذي دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* سنن النسائي، دار الكتاب العربي، بيروت.
* صحيح البخاري ومعه فتح الباري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط/ الأولى ١٩٩٣-١٤١٤، دار الفكر، بيروت.
* صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الطبعة الأولى ١٣٤٩- ١٩٣٠، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
* كتاب منتهى السول على وسائل الوصول على شمائل الرسول، تأليف عبد الله بن سعيد اللحجي، ط/ الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار طوق النجاة.
* لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط : بدون، دار صادر، بيروت.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي، ط/الثانية، ١٩٦٧ دار الكتاب، بيروت.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر.
* نساء حول الرسول محمود طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.